

إبدال الياء جيما في بعض اللغات العربية

وقد أطلق عليها علماء اللغة العرب: اسم العجعة، وتعني عندهم: إبدال الجيم مكان الياء في الوقف فإذا وصلوا أسقطوها في الدرج.

والعلة: أنها خفية فأبدلوها أبين الحروف وذلك قولهم: تيمج يريدون تيمي، وهذا عليج يريدون علي، قال سيبويه: وسمعت بعضهم يقول: عربانج يريدون عرباني^(١).

واختلف النقل عن علماء العربية في الياء المبدلة جيما، هل في الخفيفة نحو القاضي أم الثقيلة نحو تيمي؟

ويظهر من كلام سيبويه أنه أطلقها لتشمل كل ياء خفيفة أم ثقيلة إلا أنه قد مثل للثقيلة فقط كقوله: وذلك قولهم هذا تيمج يريدون: تيمي... وسار من جاء بعده من النحاة مرة يقولون بها في الخفيفة، ومرة يخصصونها بالثقيلة كياء النسب، وأحياناً يخلطون بينهما.

والذي يهمننا من جميع ذلك هو عزوهم هذه الأنواع من الاستعمالات إلى أصحابها من قبائل العرب:

- ١- تقلب الياء المشددة للنسبة وغيرها جيما عند طيء وبني حنظلة وقضاعة^(٢).
- ٢- قلب الياء الخفيفة جيما، وخصوها ببني دبير من بني أسد خاصة وبعض أهل اليمن^(٣).
- ٣- وتقلب الياء شديدة أم خفيفة وقد عزوها إلى ناس من تميم وبني سعد^(٤).

(١) الكتاب ٢: ٢٨٨، المزهر ١: ٢٢٢.

(٢) الإبدال اللغوي ١: ٢٥٧، المزهر ١: ٢٢٢.

(٣) النوادر ١٦٤.

(٤) شرح الشافية ٢: ٢٨٧، الصاحبي: ٣٧.

٤- وهناك من نسبت إليهم هذه الظاهرة دون تقييدها بالشديدة أو الخفيفة وهم بنو فقيم^(١).

وقد استشهدوا على جميع هذه الوجوه ببعض أقوال للعرب: فمن ذلك ما رواه ابن جني إذ قال: قرأت على أبي علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب بن السكيت عن يعقوب قال: قال الأصمعي: حدثني خلف قال: أنشدني رجل من أهل البادية وقرأتها عليه في الكتاب:

عَمِّي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجٍ الْمُطْعَمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِ
وَبِالْعَدَاةِ كَسَرَ الْبَرْجِ تُقْلَعُ بِالْوَدِّ وَبِالصَّيْبِ صَبْجِ^(*)
يريد أبو علي، وبالعشي، وبالصيصية، وهي قرون البقر.
وقال: يطير عنها الوبر والصهابجا^(**).

يريد الصهابي من الصهبة^(٢).

وقال المفضل: وأنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن:

يَارَبُّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتْجُ فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بَجْ
أَقْمَرَ نَهَاتٌ يَنْزِي وَفَرَجٌ^(***)

أراد: حجتني، ووفرتي، وبي؟

وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ فقال: فقيمج قال: قلت: من أيهم؟ قال: مرج، يريد فقيمي ومري^(٣).

(١) الكتاب ٢: ٢٨٨.

(٢) سر الصناعة ١: ١٩٣، شرح الشافية ٣: ٢٩٩، الممتع في التصريف: ٣٥٤.

(*) هذه أبيات لرجل من بني سعد.

والكسر: القطع من الشيء. والبرني: نوع من أجود أنواع التمر ملتصق ببعضه بعض. والود: لغة في الوند على لغة بعض بني تميم. والشاهد: إبدال بني سعد الياء المشددة أو المخففة جميعاً في الوقف.

(**) البيت نسبة ابن جني في سر الصناعة ١: ١٩٢ إلى هميان بن قحافة السعدي وهو راجز إسلامي محسن. والصهابي من الشعر، والوبر: الذي فيه شقرة. والشاهد في صهابجا وأصله صهابي حذف إحدى الياءين وقلب الثانية جيما.

(***) قال العيني قائله: رجل من اليمنيين، وقال المفضل: أنشدني أبو الغول هذه الأبيات لبعض أهل اليمن وهو من الرجز المسدس. الشاحج: البغل أقمر: أبيض. نهات: النهاق. ينزي: يحرك. والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن.

ولعل حرصهم على البيان مع خفاء الياء حين الوقف قد دفع بعضهم إلى قلب هذه الياء جيما في الوقف وشاعت هذه الظاهرة حتى وجدنا من بعضهم -للسبب نفسه- يقلبون الياء جيما -أيا كان موقعها- شددت أم لا .

قال يعقوب: بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما .

وأنشد ابن الأعرابي:

كَأَنَّ فِي أَذْنَابِهِنَّ الشُّوْلُ مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونِ الْأَجْلِ (*)

يريد قرون الأيل (١) .

ونسبوا إلى الحجاج قوله: حَتَّى إِذَا مَا أُمْسَجَتْ وَأُمْسَجَا (**).

يريد: أُمْسِيت وأُمْسِيا .

وبتأملنا فيمن نسبت إليه هذه الظاهرة اللهجية نرى أنها قد شملت مساحةً واسعةً من منازل القبائل العربية شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً مما نرجح معه أنها قد كانت سمةً لهجية لطائفة لا بأس بها من قبائل العرب .

وأرى أنه لا تناقض بين عزوها إلى بعض أهل اليمن سواء أكانوا من قضاة أم من طيء ، وبين عزوها إلى قبائل الأمام العربية الشمالية كتميم وأسد ومن إليهما من بطون كفقيم وحنظلة وبني دبير . . . وذلك من ناحيتين:

فإما أن تكون الظاهرة بدوية وحيثئذ فلا غرابة في أن طبيعة البداوة قد قادت إلى مثل ذلك الإبدال .

(١) سر الصناعة ١ : ١٩٣ ، المتع في التصريف ٣٥٢ .

(*) نسبوا البيت إلى أبي النجم العجلي من أرجوزة وصف فيها الإبل لهشام بن عبد الملك . والشول: الناقة التي تشول بذنبها أي ترفعه . والعبس: ما ييس على هلب الذنب من البول والبر . والأيل: ذكر الأوعال: والشاهد: قلب الياء المشددة في الأيل جيما مع أنها ليست طرفاً .

(**) هذا البيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد سر الصناعة ١ : ١٩٤ ، وقد نسبوا البيت إلى العجاج ، والشاهد فيه: قلب الياء جيما ولو لم تتطرف أو تشدد ولذا حركت بالحركة التي كانت للياء ، فإن الأصل أُمْسِيت وأُمْسِيا ، وقيل أنها بدل من أَلَف «أَمْسَى» وساغ إبدالها من الألف لكونها مبدلة من الياء وإن كانت الجيم لا تبدل من الألف وإنما كان هذا أشد لأنهم جعلوا فيه الياء المقدرة كالمفوضة .

وإما أن تكون الظاهرة قد نشأت أولاً على ألسنة أحد الفريقين من الشمال أو الجنوب ثم أدى الاتصال الذي قد كان بين أبنائهما إلى فشو هذه الظاهرة في نطق من لم تكن لهجته قديماً، إذ معروف- وفق قوانين الصراع اللغوي التي تحدثنا عنها فيما سبق- أن اللهجتين إذا تجاوزتا وتوفر لإحدهما بعض عوامل القوة أو بسط النفوذ، أو اشتبكتا مع بعضهما- تحت أي ظرف سياسي أم اقتصادي - فإنه يؤدي إلى تأثر إحدهما بالأخرى ولن تخرج كل منهما سليمة صافية .

إذا علمنا ذلك تأكد لنا أن لهجة طيء الجنوبية قد أثرت أو تأثرت هي نفسها في لهجات أسد وبني دبير ومن وراءهم أو تأثرت بهم، فالقوم قد تجاوزوا في بقع متقاربة، ولاشك أنه قد حدث بينهم صراع سياسي نتج عنه تأثر لهجاتهم ببعضها، ومع أن علماء العربية قد اختلفوا في هذا الإبدال -متى يكون- وصلاً أم وقفاً؟ فإنني لست مع من ذهب إلى التأكيد على أن ذلك إنما هو خاص بالوقف فقط، وإن كانت العلة- وهي الحرص على البيان نظراً لخفاء صوت الياء عند الوقف مما يدفع البدوي إلى إبدالها من الجيم قصداً إلى الوضوح- ظاهرة في حالة الوقف، إلا أنني أزعـم -مع ذلك- أن ذلك قد نقل عن العرب ورواه عنهم الثقات من علماء العربية وليس بضرورة إذ لا ضرورة مثلاً في قول العجاج: حتى إذا ما أمسجت وأمسجاً . البيت . وقول أبي النجم العجلي: كأن في أذنا بهن الشول . البيت، تدعو إلى إبدال حرف من حرف اللهم إلا ضرورة الحرص على البيان والبعد عن الخفاء في الياء مهما كان موقعها .

ولاشك في أن تلك هي الضرورة الداعية إلى قلب الياء جيماً في الوقف .
